

Muhemed HUSYİN (*)

دور اللغة العربية في العلوم الإسلامية

المخلص:

ينتشر بين الدارسين من الأجانب أنه يستطيع الباحث أن يفهم العلوم الشرعية تماماً من خلال لغتهم الأم، وهذا صحيح إلى حد ما، لكن المنطق والحقيقة يشيران إلى غير ذلك. وقد جاء هذا البحث ليوضح هذه النقطة. وقد قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى أربعة أقسام، أولاً: أهمية اللغة العربية في التفسير، ثانياً: أهمية اللغة العربية في الحديث الشريف، ثالثاً: أهمية اللغة العربية في الفقه، رابعاً: أهمية اللغة العربية في القراءات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، التفسير، الحديث، الفقه، النحو

öz

Dini İlimleri Anlamada Arapça'nın Önemi

Yabancı araştırmacılar arasında, dini ilimlerin kendi dilleriyle araştırılmasının yeterli olduğu görüşü yaygındır. Bu fikir, bir nebze doğru olmakla birlikte akıl ve mantık bunun aksine işaret eder. Araştırma bu konuyu ele almaktadır. Araştırma dört kısımdan oluşmaktadır. 1. Tefsir ilminde Arapça'nın önemi. 2. Hadis ilminde Arapça'nın önemi. 3. Fıkıh ilminde Arapça'nın önemi. 4. Kıraat ilminde Arapça'nın önemi.

anahtar kelimeler

Arap Dili, Tefsir, Hadis, Fıkıh, Dilbilgisi

abstract

The Importance of Arabic Language to Explain Religious Sciences

According to some foreign researchers, to search religious sciences with their own languages are enough. Although it is true some point of view, in the sense of reason and logic, it is opposite. In this research, I am going to discuss about it. This research consists of four parts. In the first part, I am going to explain the importance of Arabic in the tafsir, in the second part I am going to explain the importance of Arabic in hadith, in the third part, I am going to explain the importance of Arabic in fiqh and in the last part, I am going to explain the importance of Arabic in qiraat.

key words

The Arabic language, Tafsir, Hadith, Fiqh, Grammar.

المقدمة:

لا شك أن القرآن الكريم أعظم كتاب عند المسلمين، ولا شك أن نزول القرآن باللغة العربية لم يكن صدفة، فهذا الكلام لا يجوز في حق الله خالق السموات والأرض، فإله حكيم عليم باختياره، وإن هذا الاختيار لم يكن عشوائياً أو صدفة، فكلنا يعرف خصائص العربية وحيويتها ومرونتها من الناحية النحوية والصرفية والبلاغية والاشتقاقية، ناهيك عن بلاغتها وخصائصها الأسلوبية وقوة ألفاظها مما يجعل منها لغة القرآن¹، ويؤكد ذلك اختيار الله عز وجل خاتم أنبيائه من العرب الذين كانوا يعدون العربية من أنفس ما يملكون.

ومن هنا تتأكد الرابطة بين الدين الإسلامي وبين العربية. يقول ابن تيمية "إن العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بالعربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"²، فلغة القرآن والسنة هي العربية، ومعلوم أن كل علوم الشريعة استنبطت من القرآن والسنة، ويقدر ما يعرف الإنسان العربية بقدر ما يكون اجتهاده

في العدد 65 KEV انظر أحمد الدياب، بلاغة تقديم الخبر في القرآن، المقدمة، بحث منشور في مجلة¹

² ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (الرياض: مكتبة الرشد: 2008)، ص.164.

واستنباطه من القرآن والسنة صحيحاً، ومن هنا فإن تعلم العربية وتعليمها من أهم الواجبات على من أراد أن يتعلم الدين ويتفقه به، قال تعالى: { إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون }³

لقد قرر أهل العلم باتفاق أن فهم النصوص الواردة في الكتاب والسنة إنما يكون حسبما تقتضيه اللغة العربية، قال الشافعي: "يجب على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما يبلغه جهده في أداء فرضه فيما ورد التعبد به"⁴

وروي عن سيدنا عمر رضي الله عنه قوله: " تعلموا العربية فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم"⁵

لقد سعى العلماء منذ القديم على أن يربطوا بين علوم العربية والدين الإسلامي، لأنهم أدركوا تمام الإدراك أن فهم هذا الدين وأحكامه لا يتم إلا باتقان العربية وفهمها.

1- علاقة اللغة العربية بتفسير القرآن:

إن احتواء اللغة العربية على كثير من العلوم كالنحو والصرف والإعراب والبلاغة وعلم الأصوات وغير ذلك، جعل فهم وتفسير آيات القرآن بشكل صحيح لا يتم إلا بإتقان هذه العلوم مجتمعة، يقول ابن عباس: "ماكنت أدري ما معنى فاطر السموات والأرض حتى سمعت امرأة من العرب تقول: أنا فطرته، أي ابتدأته" ، وقال أيضاً " إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه في الشعر فإنه ديوان العرب"⁶

³ القرآن، 39/الزمر:3.

⁴ عبد الله بن عمر البياضوي، منهاج الأصول إلى علم الأصول(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997)،

ج1، ص.82.

⁵ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم(الرياض: مكتبة الرشد: 2008)، ص.173.

⁶ أبو الحسن الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام(بيروت: المكتب الإسلامي، 2010)، ص.161.

وقال الزركشي: " واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر"⁷

. ويكفي أن نقول إن تغيير حركة في كتاب الله عز وجل يقلب تفسير الآية رأساً على عقب⁸، ومن ذلك الآية في سورة فاطر قوله تعالى { إنما يخشى الله من عباده العلماء }⁹ فلو أن قارئاً قرأ برفع لفظ الجلالة ونصب كلمة العلماء لانقلب المعنى تماماً. إن المفسر إن لم يكن عارفاً ومدرکاً لأصول العربية وما يتعلق بها من التقديم والتأخير والإيجاز والإطناب وماشابه ذلك من علوم البلاغة وإن لم يعرف القواعد النحوية من فاعل ومفعول وحال ومبتدأ أو خبر، والتأنيث والتذكير،¹⁰ وكذلك إن لم يعرف علم الوقف والابتداء وهو ماسماه علماء البلاغة الوصل والفصل، فإنه لن يستطيع أن يصل إلى أسرار التعبير القرآني ومعرفة حقيقة ما أمر الله به. لقد أقر كبار المفسرين بأهمية معرفة المفسر للعربية، فهاهو أبو حيان في كتابه البحر المحيط ينص على ضرورة التبحر باللغة العربية للناظر في كتاب الله عز وجل قائلاً " النظر في كتاب الله تعالى يكون من وجوه، الوجه الأول: علم العربية اسماً وفعلاً وحرفاً، ويؤخذ ذلك من كتب اللغة، الوجه الثاني: معرفة الأحكام التي للغة العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها، ويؤخذ ذلك من كتب النحو. الوجه الثالث: كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبدیع". لقد كان بعض الصحابة يفضلون أن يعرفوا معنى آية على أن يحفظوها وكلنا يعرف القول المشهور لأبي بكر الصديق حيث قال: " لأن أعرب آية أحب إلي من أن أحفظ آية"، فالإعراب هنا تفسيرها ومعرفتها من خلال علوم العربية

⁷ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن (الفاخرة: دار التراث، 1985)، ص.121.
انظر أحمد الدياب ص18، رسالة ماجستير، المشاكل التي تواجه الأتراك في تعليم اللغة العربية⁸ والمقترحات،

⁹ القرآن، 35/فاطر:28.
Toplum Bilimleri Dergisi، العدد 20، ص269-285 Bilimleri Dergisi
العدد 20، ص269-285 Bilimleri Dergisi

لقد كثُر أهل البدع والضلال في زماننا وأخذوا يدعون بتفسير للقرآن، كلُّ وأهواءه، وأصبحنا نجد من يتصدى لتفسير القرآن وهو لا يفقه من علوم العربية شيئاً ويحاول أن يوجه الآيات بحسب عقيدته وآرائه غير مستند في ذلك إلى خصائص ومميزات العربية، يقول ابن تيمية " لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف مايدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي حُوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على مايدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك"¹¹

ولا يكفي لطالب التفسير معرفة العربية فحسب، بل عليه معرفة لهجات العرب فإن القرآن قد نزل على سبعة أحرف وكما هو معروف أن القرآن نزل بلغة قريش، لكنه يحوي في داخله بعض اللهجات العربية الأخرى، وهذا ما حدث مع سيدنا عمر عندما سأل عن معنى قوله تعالى { أو يأخذكم على تخوف }، فقد سأل عن معنى " على تخوف" فقام إليه رجل من هذيل فقال معناها " على تنقص" أي شيئاً فشيئاً، ويروى عنه أيضاً سؤاله عن معنى " أباً" في قوله تعالى " وفاكهة وأباً"¹². ومن هنا نرى أنه إذا كان سيدنا عمر وهو من أفصح الناس بالعربية يسأل عن معنى كلمة في القرآن، فكيف بالذي لايعرف اللغة العربية ويتصدى ويقوم بتفسير القرآن، ولذلك يقول الإمام مالك: " لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً"¹³

¹¹ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض(القاهرة: دار الاعتصام، 1985)، ج2، ص.58.

¹² جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن(السعودية: مجمع الملك فهد، 1426)، ص.86.

¹³ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن(السعودية: مجمع الملك فهد، 1426)، ص.86.

وكلنا يعرف مسائل نافع بن الأزرق مع ابن عباس، فكان نافع يجيب ابن عباس عن تفسير بعض الآيات ويستشهد بأشعار العرب، فمثلاً كان يسأله عن قوله تعالى { قد جعل ربك تحتك سرياً }، فقال هو الجدول وأنشده بيتاً من الشعر يحوي كلمة السري، وسأله عن معنى قوله { فإذا هم بالساهرة }¹⁴، قال الأرض واستشهد ببيت لأمية بن أبي الصلت: " وفيها لحم ساهرة وبحر " ولا بد للمفسر بعد أن يتعلم العربية أن يتقن النحو والإعراب وأن يكون له إلمام بغريب القرآن، فنحن كما رأينا سابقاً أن بعض الصحابة كان يسأل عن بعض الكلمات في القرآن ولذلك حثَّ الرسول الكريم أصحابه على تعلم الإعراب وأن يطلع على غريب القرآن، فعن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "أعربوا القرآن واثمتموها غرائبه".¹⁵

لقد عاب ابن فارس المقصرين في علم العربية وهم في نفس الوقت يطلبون العلوم الشرعية ومن بينها علم التفسير وقال: انظر إلى قوله تعالى { أن الله بريء من المشركين ورسوله }¹⁶ فإن القارئ إذا قرأ بالرفع فإنه سلك طريق الصواب وإن كسر اللام من كلمة " رسوله" كان كفوراً بحتاً وجهلاً قحاً.

لقد عظم القدامى اللغة العربية حينما أراد أحدهم أن يدخل مجال العلوم الشرعية حتى أن أبا عمر بن العلاء القارئ المعروف وأحد كبار علماء العربية قال: " العلم بالعربية هو الدين بعينه " ¹⁷ لكننا اليوم مع الأسف نتصدى لتفسير القرآن دون أن يكون عندنا الحد الأدنى من علم العربية ولذلك أصبحنا نجد الانقسام والفرقة بين الذين يفسرون كتاب الله عز وجل. لقد اشتراط العلماء لمن أراد أن يفسر القرآن شروطاً لصيانة القرآن من التفسير الخاطيء حيث يحمل كل واحد تفسير القرآن على هواه، ومن بين هذه الشروط وهو الشرط الأهم أن يكون المفسر عارفاً باللغة العربية من نحو وصرف ودلالة واشتقاق وبيان وبيدع ومعاني وما إلى ذلك من علوم البلاغة وفروعها المختلفة.

¹⁴ القرآن، 79/النازعات: 14

¹⁵ أبو حاتم الرازي أحمد بن حمدان، الزينة(اليمن: مركز البحوث والدراسات اليمني (1994)، ص89.

¹⁶ القرآن، 9/التوبة: 3

¹⁷ أبو حاتم الرازي أحمد بن حمدان، الزينة(اليمن: مركز البحوث والدراسات اليمني (1994)، ص89.

وكما نعرف أن تفسير القرآن يحتاج إلى معرفة في علوم القرآن فعلى سبيل المثال "الوجه والنظائر" فهي تجمع بين الوضع اللغوي والاستعمال القرآني وبسبب هذه الصلة يحتاج المفسر أن يكون عالماً بالعربية لمعرفة مسألة الوجه والنظائر.

2- علاقة اللغة العربية بفهم الحديث النبوي:

كلنا نعرف أن الرسول الكريم عربي النسب والأصل وأن لعته كانت من أفصح اللغات ، فهو قرشي من نسب أصيل، والحديث هو كلام الرسول الكريم، فمن هنا ندرك أهمية اللغة العربية في فهم حديث الرسول الكريم، فبلاغة الحديث تعد من أعلى البلاغات بعد القرآن الكريم، وبدون الإحاطة بعلوم العربية لا يمكن أن نفهم ونستشعر بلاغة الأحاديث النبوية. يقول الأصمعي: " إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله صلى الله عليه وسلم " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " ¹⁸ وروى الخطيب عن شعبة قال: "من طلب الحديث ولم يبصر بالعربية كمثّل رجل عليه برنس وأليس له رأس" ¹⁹

ونقل عن الرحبي أنه قال: " سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتبت لِحَان، فكتب عن لِحَان آخر فكتب اللحان عن لِحان آخر صار الحديث فارسياً" ²⁰ . وروي عن حماد بن سلمة قال: مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها. ²¹

¹⁸ جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (السعودية: مجمع الملك فهد، 1426)، ص.85.

¹⁹ جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (السعودية: مجمع الملك فهد، 1426)، ص.86.

²⁰ جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996)، ج1، ص.83.

²¹ جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996)، ج1، ص.83.

إن الحديث عربي الألفاظ والمقاصد والمعاني، ولأجل هذا قرر علماء الحديث أن فهم نصوص الحديث إنما يكون حسبما تقتضيه اللغة العربية، فالحديث هو المصدر الثاني في التشريع، ومعرفة أسرار الحديث ومعانيه والمراد منه والأحكام المستخلصة منه يتوقف على معرفة اللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغةً.

إن العلاقة بين علم الحديث والعربية واضحة، فمثلاً النحو ظهر وتطور ودونت الكتب النحوية عندما نشطت الدراسات الحديثية. وكما هو معروف أن سبويه نشأ في بداية أمره في حلقات الحديث، ولذلك قال السيوطي: "علم الحديث والعربية أخوان يجريان في واد واحد"²² يقول ابن الصلاح في شرط الحديث: وحق على طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يتخلص به من شين اللحن والتحريف. ويذكر الحافظ أبو الحجاج في مقدمة كتابه "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" قوله: "ينبغي للناظر في كتابنا هذا أن يكون قد حصل طرفاً صالحاً من علم العربية"²³. ويغلب في لغة الحديث بلاغة العربية من معاني وبيان وبديع، فعلم البيان يتكون من عناصر مهمة أهمها التشبيه، فالحديث النبوي ممتلئ بالتشبيه المختلفة، وكما هو معروف أن التشبيه يقرب الصورة ويجعلها أكثر وضوحاً. فمثلاً لو أخذنا حديثاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله"²⁴. فهذا التشبيه يتكون من أركان المشبه وهو الساعي على الأرملة، والمشبه به وهو المجاهد في سبيل، ووجه الشبه الأجر العظيم، والأداة هي الكاف، وهذا من نوع التشبيه المرسل. والغرض من هذا الحديث كما هو واضح الأجر العظيم الذي يرضى الأرملة والمسكين. والذي يعمل في مجال الحديث إن لم يعرف هذه العناصر لن يستطيع أن يحلله ويصل إلى الغاية التي يتوقاها.

وفهم هذا الحديث يمكن لا يسبب حرجاً لأن أركان التشبيه اجتمعت، وهذا ما سهل فهمه ولكن لو انتقلنا إلى مرحلة متقدمة من التشبيه وهي الاستعارة، فهذا أدل على حاجة الباحث

²² جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم العربية وأنواعها (بيروت: المكتبة العصرية، 2014)، ص. 94

²³ جمال الدين يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983)، ج1،

ص. 125.

²⁴ يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، شرح النووي على مسلم (لبنان: دار الخير، 1996)، ج3، ص. 193.

إلى العربية، فالرسول الكريم يقول: "هذه مكة قد رمتمكم بأفلاذ كبدها"²⁵ فهذه استعارة يصعب فهمها لمن لم يدرس اللغة العربية ويتعمق في بلاغتها. ولا ننسى المجازات الكثيرة التي انتشرت في معظم الأحاديث النبوية والتي تحتاج إلى معرفة بالمعنى المعجمي ومعرفة بالمعنى المجازي، فالرسول الكريم يقول: "اليد العليا خير من اليد السفلى" فنجد في هذا المجاز أن طالب المال يمد يده ذليلاً يطلب العطاء وتمتد يد المعطي عزيزة. فهذا المجاز مجاز مرسل أطلقت اليد وأريد بها الكل وهو طالب المال ومعطيه. ولو انتقلنا إلى علم المعاني وما يحتويه من مسائل متداخلة في بعضها من تقديم وتأخير وخروج الخبر عن مقتضاه الظاهر وخروج الإنشاء عن حقيقته إلى معاني بلاغية، فكل ذلك يسبب إشكالاً في فهم الأحاديث فهماً صحيحاً، فلو أخذنا مثلاً مسألة من مسائل علم المعاني وهي التقديم والتأخير والحذف سنلاحظ بوضوح مدى الحاجة إلى تعلم العربية والتعمق فيها. يقول الرسول الكريم: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"²⁶ ففي هذا الحديث يوجد إيجاز بحذف كلمة " من الخير " أي ما يحبه من الخير، وحذف المسلم أيضاً من كلمة أخيه، ويوجد أيضاً تقديم " الأخ " على النفس، وهذا يؤكد أن علوم العربية تدخل في صميم الحديث النبوي من كل جوانبه.

إن من الملاحظ في البلاد غير الناطقة بالعربية عدم اهتمامهم بالحديث على الوجه المطلوب وذلك لصعوبة بعض المسائل الحديثية وعدم فهمها بالشكل المناسب، وذلك النقص في الحقيقة ناتج عن عدم معرفة أبناء هذه البلاد بالعربية. ويكفي أن نقول إن أصحاب كتب السنن قد أقاموا توجهات مختلفة للحديث الواحد تبعاً لعرفة كل واحد منهم بأساليب العربية وبلاغتها ودلالاتها.

3- علاقة اللغة العربية بالفقه:

الفقه من العلوم الأصلية في شريعتنا الإسلامية وهو من أوسع العلوم الإسلامية وأدقها، وإن اختلاف الفقهاء الإيجابي إن صح التعبير كان أغلبه نتيجة بلاغة اللغة العربية ومدى فهمها، فمعظم المسائل الفقهية كانت تخضع لأساليب اللغة العربية وبلاغتها وتصرفاتها.

²⁵ أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)

بيروت: دار صادر، 1992م)، ص213

²⁶ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم (مؤسسة الرسالة، 2001)، ص124.

لقد اشترط علماء الفقه على المجتهد معرفته العربية بكافة فروعها، فقد قال الشاطبي رحمه الله : إنه يشترط على المجتهد في الفقه أن يبلغ من معرفته العربية درجة عالية²⁷.

، وفي شرح منهاج الأصول للبيضاوي، قال البيضاوي: " السادس علم العربية من اللغة والنحو والتصريف، لأن الأدلة من الكتاب والسنة عربية الدلالة، فلا يمكن استنباط الأحكام منها إلا بفهم كلام العرب إفراداً وتركيباً ومن هذه الجهة يعرف العموم والخصوص والحقيقة والمجاز والإطلاق والتعديد"²⁸

، ويقول الجويني في صفات المجتهد " إن الصفات المعبرة في المفتي ست إحداها الاستقلال باللغة العربية"²⁹ إذن من أجل أن يكون المفتي صائباً في قراراته يجب عليه أن يتقن العربية وعلومها، فالاجتهاد يؤخذ من القرآن والسنة، وكلاهما باللغة العربية، فالمجتهد إن لم يكن عالماً بالنحو فإن كثير من المسائل الشائكة لن تحل وخصوصاً تلك المسائل المتعلقة بالاستثناء والشرط والإضافة والعطف والحال، فهذه المسائل لها تفرعات نحوية متداخلة ببعضها البعض. إن العربية وسيلة من وسائل الاهتداء.

إن الاختلاف بين فقهاء هذه الأمة معظمه ناتج عن فهم العربية، فمسائل العبادات من صلاة وزكاة وحج وصيام ووضوء كان الاختلاف في تحديد بعض مسائلها يتبع لفهم كل فقيه لمدلول الألفاظ ومعانيها. ولو أخذنا بعض الأمثلة في ذلك، فمثلاً مسألة الوضوء في الآية السادسة من سورة المائدة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ }³⁰، فقد رأى بعض المجتهدين أن عطف الأرجل جاء على الرؤوس، والرؤوس قد أمر الله بمسحها، لكن هذه المسألة تخضع لقوانين العطف، فالعطف بالواو يكون على الاسم الأول، ولذلك جاء الاسم منصوباً ليدل أن الأرجل يجب أن تغسل. وكما نرى أن تحرير هذه المسألة ناتج عن فهم العربية بشكلها الصحيح. وفي مسألة السرقة عندما يقول الله عز وجل { والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما

²⁷ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات(القاهرة: دار ابن عفان، 2008م)، ص.127.

²⁸ عبد الله بن عمر البيضاوي، منهاج الأصول إلى علم الأصول(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997)، ج1، ص.82.

²⁹ أبو المعالي الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم(الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 2008)، ص.107.

³⁰ القرآن، 5/المائدة:6.

جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم }³¹. فقد اختلف العلماء في حد اليد وكان كل فريق يعطي دليلاً من الشواهد العربية، ومن هنا نجد أن المسألة ليست مسألة بسيطة، فإن دلالة كلمة يُبنى عليها أحكام فقهية كثيرة.

4- علاقة العربية بالقراءات:

موضوع القراءات من أعقد الموضوعات في العلوم الإسلامية، فهذا الموضوع يعتمد على كثير من العلوم كبلغة العربية وأساليبها وعلم المصحف وكتابته وعلم الخط وكيفية رسم المصحف وغيرها، لكننا إذا نظرنا إلى هذا الموضوع نجد أن أغلب الاختلافات التي دارت بين القراء كانت تستند إلى اللغة العربية، ولذلك كان علماء القراءة متقنون لعلم العربية وفاهمون أساليبها ونكاتها ومعانيها.

ولو نظرنا إلى القراء العشر لرأينا أن معظمهم كان من علماء العربية، فمثلاً أبو عمر بن العلاء كان من علماء العربية وأحذقهم في علم النحو وكانت العربية تؤخذ عنه إضافة إلى القراءة، فهو قد جمع بين علم العربية والقراءة.

، وكان الأوائل من أهل العلم يعدون العلم بالعربية منقبة للقارىء وسبباً لتفضيله على غيره حتى قالوا عن حمزة بن الزيات القارىء المشهور " إن الجن تقرأ على حمزة"³² لعلمه الواسع بالعربية، وقد نال هذه المرتبة بمعرفته بأصول القراءة من خلال العربية التي تضم الوقف والاستئناف والقطع والوصل ومعرفة الإمالات والتخفيف والهمز وغيرها³³. وقال أبو حاتم: " الكسائي أعلم الكوفيين بالعربية والقرآن وهو قدوتهم" فالكسائي كان إماماً بالقراءة وفي نفس الوقت كان نداً قوياً لسيبويه إمام العربية . وختم أبو حاتم على يعقوب سبع

³¹ القرآن، 5/المائدة: 38

³² شمس الدين الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، إسطنبول:

مركز البحوث الإسلامية، 1995.

انظر أحمد الدياب ، اختلاف القراءات بين أسلوب الخبير والإنشاء وعلاقته في التفسير، بحث منشور في ³³ العدد 19 ،ص 189-200 Toplum Bilimleri Dergisi مجلة

ختمت³⁴، وهذا يعني أن يعقوب كان أستاذاً لأبي حاتم الذي هو في الأساس من علماء العربية.

لقد كان القراء سابقاً يبذلون ما يملكونه في سبيل العربية، قال خلف: " أشكل علي باب من النحو فأنفقت ثمانية آلاف درهم حتى حذقته"³⁵

والتمييز بالعربية سبب للاستقلال بالقراءة والانفراد وسبباً في الاجتهاد والاختيار، ولذلك نجد أن بعض القراء بعد أن كان تلميذاً لقارئ أصبح قارئاً مستقلاً، ومن هنا فقد قال العلماء في حق عاصم إنه كان نحوياً فصيحاً.

إن القراءات القرآنية تستند في أصلها إلى العربية، فالذي لا يعرف العربية لا يستطيع أن يوجه ويعلل القراءات، فعلماء العربية خدموا قراءات القرآن الكريم بالتوجيه والشرح وبيّنوا أصولها وحققوا في صلتها بقواعدهم. ولو نظرنا إلى القراءات لرأينا أن الفروق بينها فروق بلاغية وصرفية ونحوية وصوتية، ولذلك لو أردنا أن نضرب أمثلة على ذلك لكانت كل القراءات أمثلة وشواهد في أهمية العربية في هذا الموضوع.

الخاتمة:

بعد عرض هذا الموضوع لا بد لنا أن نقرر أهمية اللغة العربية في فهم كافة علوم الدين والشريعة الإسلامية، فهذا الموضوع يدركه كل من يمل في هذه الحقول، لكن مع الأسف لانرى الجدية الكافية من الباحثين والمجتهدين والمفسرين لغير الناطقين بالعربية، فهم يعتمدون على لغتهم في فهم المسائل التفسيرية والفقهية والحديثية، ويدّعون أنه لا حاجة للعربية في البحوث التفسيرية والفقهية، ولذلك يرد الطوفي على هؤلاء بقوله: " وإنكار حاجة طلاب العلم إلى لغة العرب هذه بدعة قديمة حديثة"³⁶، فنحن نجد أن أغلب علماء الإسلام من تفسير وحديث وفقه كانوا من غير العرب، لكنهم أدركوا قيمة العربية في فهم الشريعة فأخذوا يتعلمون علومها من نحو وصرف وبلاغة، فهم بذلك استطاعوا أن يكونوا قدوة لأصحاب اللغة أنفسهم. إن مصادر الدين الإسلامي تكاد تكون جميعها باللغة العربية، فمن

³⁴ أبو الطيب الحلبي، مراتب النحويين(القاهرة: مكتبة نهضة، 1955)، ج1، ص.67.

³⁵ أبو الطيب الحلبي، مراتب النحويين(القاهرة: مكتبة نهضة، 1955)، ج1، ص.81.

³⁶ أبو الربيع نجم الدين الطوفي، الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية(الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2013)، ص.162.

عرف هذه اللغة كان إماماً لغيره، فهو قد أخذ الفهم الأول وجعل الآخرين تابعين له، ولذلك في أيامنا نرى أن الأمة الإسلامية أصبحت عبارة عن مذاهب وفرق إسلامية، وغالباً ما يكون الفرق بين هذه المذاهب أساسه الفهم المختلف في اللغة العربية للمسائل القرآنية.

المصادر والمراجع

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. *اقتضاء الصراط المستقیم لمخالفة أصحاب الجحیم*. الرياض: مكتبة الرشد، 2008.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. *الإيمان*. بيروت: المكتب الإسلامي، 1996.
- ابن رجب الحنبلي. *جامع العلوم والحكم*. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001.
- أبو حاتم الرازي، أحمد بن حمدان. *لذينة*، اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمني، 1994.
- أبو الحسن، الأمدي. *الإحكام في أصول الأحكام*. بيروت: المكتب الإسلامي، 2010.
- أحمد الدياب، aldyab Ahmed، اختلاف القراءات بين أسلوب الخبر والإنشاء وعلاقته في التفسير، مجلة العلوم الاجتماعية، *Toplum Bilimleri Dergisi*، العدد 19، 2016 ocak.
- أحمد الدياب، Ahmed aldyab، الاختلاف بين الآيات المتشابهة في التنكير والتأنيث، مجلة العلوم الاجتماعية، *Toplum Bilimleri Dergisi*، العدد 20، 2016 temmuz.
- أحمد الدياب، Ahmed aldyab، بلاغة تقديم متعلق الخبر في القرآن ، مجلة Ekev، العدد 65، 2016، أرض روم
- أحمد الدياب، Ahmed aldyab، رسالة ماجستير، المشاكل التي تواجه الأتراك في تعليم اللغة العربية والمقترحات، أنقرة، 2012، معهد العلوم التربوية، جامعة غازي.

- البيضاوي، عبد الله بن عمر. *منهاج الأصول إلى علم الأصول*، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997.
- أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي. *شرح النووي على مسلم*، لبنان: دار الخير، 1996.
- أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، بيروت: دار صادر، 1992.
- الجويني، أبو المعالي. *غياث الأمم في التياث الظلم*، الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 2008.
- الحلبي، أبو الطيب. *مراتب النحويين*، القاهرة: مكتبة نهضة، 1955.
- الزركشي، بدر الدين. *البرهان في علوم القرآن*. القاهرة: دار التراث، 1985.
- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله. *أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض*. القاهرة: دار الاعتصام، 1985.
- السيوطي، جلال الدين. *الإتقان في علوم القرآن*. السعودية: مجمع الملك فهد، 1426.
- السيوطي، جلال الدين. *تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996.
- السيوطي، جلال الدين. *الجامع الكبير*، بيروت: المكتب الإسلامي، 1988.
- السيوطي، جلال الدين. *المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها*، بيروت: المكتبة العصرية، 2014.
- شمس الدين الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. *معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعمار*، إسطنبول: مركز البحوث الإسلامية، 1995.
- المزي، جمال الدين يوسف. *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983.
- نجم الدين الطوفي، أبو الربيع. *الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية*، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2013.